

لامية ابن الوردى^(١)

=====

قال عمر بن الوردى^(٢) رحمه الله تعالى مخاطباً ولده:

* * *

اغتنزل ذكراً الأغاني والغزل
ودع الذكوى لأيام الصبا
إن أهنأ عيشة قضيتها
واترك الغادة لا تحفل بها
وأفتكر في منتهى حُسن الذي
واهجر الخمرة إن كنت فتى
وأتق الله فتقوى الله ما
ليس من يقطع طرقاً بطلاً
صدق الشرع ولا تركز إلى

وقل الفصل وجانب مَنْ هزل
فلا أيام الصبا نجم أفل
ذهبت لذاتها والإثم حل
تُمس في عزر رفيع وتجل
أنت تهواه تجد أمراً جلال
كيف يسعى في جنون مَنْ عقل
جاورت قلب امرئ إلا وصل
إنما مَنْ يتقي الله البطل
رجل يرصد في الليل رجل

(١) لامية مشهورة من أجمل اللاميات الإرشادية، وهي عبارة عن نصائح شرعية وأخلاقية واجتماعية وسياسية وأدب وحكم وتجارب يومية.

(٢) هو الشيخ الفقيه النحوي القاضي المؤرخ زين الدين أبي حفص عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس المعري البكري نسبة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، المشهور بابن الوردى، من شعراء القرن الثامن الهجري، وقد ولد في المعرة غرب مدينة حلب بالشام زمن المماليك سنة ٦٨٩ هـ، وخالف الزركلي فقال: أنه ولد سنة ٦٩١ هـ وكان من علماء اللغة العربية والنحو والفقه والأدب والتاريخ كما دلّ على ذلك تلك المصنفات المتنوعة له، وقد اشتهر بالزهد والورع وحسن الخلق وطيب المعشر، فكانت له مهابة في قلوب معاصريه.

تولى القضاء في منبج وشيزر وحلب، ثم ما لبث أن ترك ذلك كله وعزل نفسه لمنام رآه، وكتب أبياتاً في ذم القضاء وأهله، ثم اشتغل بالتعليم والتأليف حتى شاع ذكره وطار صيته في البلدان، وقد توفي بالطاعون سنة

حَارَتِ الْأَفْكَارُ فِي حِكْمَةٍ مَن
 كُتِبَ الْمَوْتُ عَلَى الْخَلْقِ فَكَمْ
 أَيْنَ نَمْرُودُ وَكِنَعَانُ وَمَن
 أَيْنَ عَادٌ؟ أَيْنَ فِرْعَوْنُ وَمَن
 أَيْنَ مَن سَادُوا وَشَادُوا وَبَنَوْا؟
 أَيْنَ أَرْبَابُ الْحِجَى أَهْلُ التُّهَى؟
 سَيُعِيدُ اللَّهُ كُلًّا مَنَّهُمْ
 * يَا بُنَيَّ اسْمَعْ وَصَايَا جَمَعَتْ
 أَطْلُبِ الْعِلْمَ وَلَا تَكْسَلْ فَمَا
 وَاحْتَفِلْ لِلْفِقْهِ فِي الدِّينِ وَلَا
 وَاهْجُرِ النَّوْمَ وَحَصِّصْ لَهُ فَمَن
 لَا تَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَرْبَابُهُ
 فِي أَرْزَادِ الْعِلْمِ إِرْغَامُ الْعِيدَا
 جَمَلِ الْمَنْطِقِ بِالتَّحْوِ فَمَن
 انظِمِ الشُّعْرَ وَلَا زِمِ مَذْهَبِي
 فَهُوَ عَنَوَانٌ عَلَى الْفَضْلِ وَمَا
 مَاتَ أَهْلُ الْفَضْلِ لِمَ يَبْقَ سِوَى
 أَنَا لَا اخْتَارُ تَقْبِيلَ يَدِ
 إِنْ جَزْتَنِي عَن مَدِيحِي صِرْتُ فِي
 أَعْدَابِ الْأَلْفَاظِ قَوْلِي لَكَ: خُذْ
 مَلِكُ كِسْرَى عَنْهُ تُغْنِي كِسْرَةٌ
 اعْتَبِرْ "نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ"
 لَيْسَ مَا يَخْوِي الْفَتَى مِنْ عَزْمِهِ
 إِطْرَجِ الدُّنْيَا فَمِنَ عَادَاتِهِ

قَدْ هَدَانَا سَبُلَنَا عَزَّ وَجَلَّ
 قَلَّ مِنْ جَيْشٍ وَأَفْنَى مِنْ دَوْلٍ
 مَلَكَ الْأَرْضَ وَوَلَّى وَعَزَّلَ
 رَفَعَ الْأَهْرَامَ؟ مَن يَسْمَعُ يَحُلُّ
 هَلَكَ الْكُلُّ وَلَمْ تُغْنِ الْقُلُوبُ
 أَيْنَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْقَوْمُ الْأَوَّلُ؟
 وَسَيَجْزِي فَاعِلًا مَا قَدْ فَعَلَ
 حِكْمًا خُصَّصَتْ بِهَا خَيْرَ الْمِلَلِ
 أَبْعَدَ الْخَيْرِ عَلَى أَهْلِ الْكَسَلِ
 تَشْتَغِلْ عَنْهُ بِمَالٍ وَخَوَلٍ
 يَعْرِفِ الْمَطْلُوبَ يَحْقِرُ مَا بَدَلَ
 كُلُّ مَن سَارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَلَّ
 وَجَمَالَ الْعِلْمِ إِصْلَاحُ الْعَمَلِ
 يُحْرِمُ الْإِعْرَابَ بِالتُّطْقِ اخْتَبَلْ
 فِي أَطْرَاجِ الرَّفْدِ لَا تُبْغِ التَّحَلُّ
 أَحْسَنَ الشُّعْرِ إِذَا لَمْ يُبْتَدَلْ
 مُقْرِفٍ أَوْ مَن عَلَى الْأَصْلِ اتَّكَلْ
 قَطْعُهَا أَجْمَلُ مِنْ تَلْكَ الْقَبَلِ
 رَفَّهَا أَوْ لَا فَيَكْفِينِي الْخَجَلُ
 وَأَمْرُ الْفَلْظِ نُطْقِي بِلَعَلِّ
 وَعَنِ الْبَحْرِ اجْتِزَاءً بِالْوَشَلِ
 تَلَقَّاهُ حَقًّا وَبِالْحَقِّ نَزَلُ
 لَا وَلَا مَافَاتِ يَوْمًا بِالْكَسَلِ
 تُخْفِضُ الْعَالِي وَتُعْلِي مَنْ سَقَلْ

عِيشَةُ الرَّاغِبِ فِي تَحْضِيلِهَا
كَمْ جَهْلٌ بَاتَ فِيهَا مُكْثَرًا
كَمْ شُجَاعٌ لَمْ يَنْلُ فِيهَا الْمُنَى
فَاتَرَكَ الْحَيْلَةَ فِيهَا وَاتَّكَلُ
أَيُّ كَفٍّ لَمْ تَنْلُ مِنْهَا الْمُنَى
لَا تَقْلُ أَضْلَى وَفَضْلِي أَبَدًا
قَدْ يَسْوُدُ الْمِرَّةُ مِنْ دُونَ أَبِي
إِنَّمَا الْوَرْدُ مِنَ الشُّوكِ وَمَا
مَعَ أَنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَيَّ
قِيمَةُ الْإِنْسَانِ مَا يُحْسِنُهُ
أَكْتَمِ الْأَمْرَيْنِ فَقْرًا وَعَنْيَ
وَأَدْرِعْ جِدَاءً وَكَدًا وَاجْتَنِبْ
بَيْنَ تَبْذِيرٍ وَبُخْلِ رَتْبَةَ
لَا تَخْضُ فِي سَبِّ سَادَاتٍ مَضَوْا
وَتَغَافَلُ عَنِ أُمُورٍ إِنَّهُ
لَيْسَ يَخْلُو الْمِرَّةُ مِنْ ضِدِّ وَلَوْ
مِلَّ عَنِ النَّمَامِ وَازْجُرَّهُ فَمَا
دَارَ جَارَ السُّوءِ بِالصَّبْرِ وَإِنْ
جَانِبَ السُّلْطَانَ وَاحْذَرْ بَطْشَهُ
لَا تَلِ الْحُكْمَ وَإِنْ هُمْ سَأَلُوا
إِنْ نِصَفَ النَّاسَ أَعْدَاءُ لَمَنْ
فَهُوَ كَالْمَحْبُوسِ عَنِ لَدَاتِهِ
إِنَّ لِلنَّقْصِ وَالِاسْتِثْقَالِ فِي
لَا تُوَازِي لَذَّةَ الْحُكْمِ بِمَا

عِيشَةُ الْجَاهِلِ فِيهَا أَوْ أَقْلُ
وَعَلِيمٌ بَاتَ مِنْهَا فِي عَلَلُ
وَجِبَانٌ نَالَ غَايَاتِ الْأَمَلِ
إِنَّمَا الْحَيْلَةُ فِي تَرْكِ الْحَيْلِ
فَرَمَاهَا اللَّهُ مِنْهُ بِالشَّلَلِ
إِنَّمَا أَضْلُ الْفَتَى مَا قَدْ حَصَلَ
وَبُحْسِنِ السُّبُكِ قَدْ يَنْفِي الدَّغْلُ
يَنْبُتُ النَّرْجِسُ إِلَّا مِنْ بَصَلِ
نَسْبِي إِذْ بِأَبِي بَكْرٍ اتَّصَلَ
أَكْثَرُ الْإِنْسَانِ مِنْهُ أَوْ أَقْلُ
وَكَسَبَ الْفَلْسَ وَحَاسِبٌ مَنْ مَطَلُ
صُحْبَةُ الْحَمْقَى وَأَرْبَابُ الْخَلَلِ
وَكَلَا هَهُنَ ذِينَ إِنْ زَادَ قَتْلُ
إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلٍ لِلرَّزْلِ
لَمْ يَفُزْ بِالْحَمْدِ إِلَّا مَنْ عَفَلَ
حَاوَلَ الْعُزْلَةَ فِي رَأْسِ الْجَبَلِ
بَلَّغَ الْمَكْرُوهَ إِلَّا مَنْ نَقَلَ
لَمْ تَجِدْ صَبْرًا فَمَا أَحْلَى التَّقَلِ
لَا تَعَانِدْ مَنْ إِذَا قَالَ فَعَلَ
رَغْبَةً فِيكَ وَخَالَفَ مَنْ عَدَلَ
وَلِي الْأَحْكَامِ هَذَا إِنْ عَدَلَ
وَكَوَلَا كَفِيهِ فِي الْحَشْرِ تُعَلِ
لَفْظَةَ الْقَاضِي لَوْ عَظَا أَوْ مَثَلَ
ذَاقَهُ الشَّخْصُ إِذَا الشَّخْصُ انْعَزَلَ

فَالْوَلَايَاتُ وَإِنْ طَابَتْ لِمَنْ
نَصَبُ الْمَنْصِبِ أَوْ هِيَ جَلِيدِي
قَصْرِ الْأَمْوَالِ فِي الدُّنْيَا تَفُزُ
إِنْ مَنْ يَطْلِبُهُ الْمَوْتُ عَلَى
غَيْبٍ وَزُرُ غَيْبًا تَزِدُ حُبًّا فَمَنْ
خُذْ بِنَصْلِ السِّيفِ وَاتْرِكْ غِمْدَهُ
لَا يَضُرُّ الْفَضْلَ إِقْلَالٌ كَمَا
حُبُّكَ الْأَوْطَانَ عَجِزٌ ظَاهِرٌ
فِيْمُكْثِ الْمَاءِ يَبْقَى آسِنًا
أَيْهَا الْعَائِبُ قَوْلِي عَبَثًا
عَدَّ عَنْ أَسْهُمِ قَوْلِي وَاسْتَتِرَ
لَا يَغْرَتُّكَ لَيْنٌ مَنْ فَتَى
أَنَا مِثْلُ الْمَاءِ سَهْلٌ سَائِغٌ
أَنَا كَالْخِيَزُورِ صَعْبٌ كَسْرُهُ
غَيْرَ أَنِّي فِي زَمَانٍ مَنْ يَكُنْ
وَاجِبٌ عِنْدَ الْوَرَى إِكْرَامُهُ
كُلُّ أَهْلِ الْعَصْرِ غَمْرٌ وَأَنَا
وَصَلَاةُ اللَّهِ رَبِّي كَلَّمَا
لِلَّذِي حَازَ الْعُلَى مِنْ هَاشِمٍ
وَعَلَى آلٍ وَصَحْبٍ سَادَةِ

